أبو زرعة

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[22]

أبو زرعة

أبو زرعة

ولد سنة مائتين من الهجرة.

كان من كبار الحفاظ، وسادات التقوى.

نسبه:

هو يحيى بن أبي عمرو الشيباني.

كنيته:

يكنى أبا زرعة.

على الله التفسير:

قال أبو زرعة:

إن رجلاً كان يركب حمارًا فمر بنهر فنزل عنه وأطلق بفمه صفيرًا فاختلف ملك الحسنات وملك السيئات، فقال ملك الحسنات:

- أراد أن يسقي حماره.

وقال ملك السيئات:

- إنما أراد لهوًا.

فبعث الله عز وجل ملكًا يقول:

- اعتبرا الصفير وعلى الله التفسير.

أهل التصبر:

يقول أبو زرعة:

دخلت على رجل مبتلى ذات ضحى فقلت:

- كيف تجدك؟

قال:

- أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه على أكثر من أن أحصيها.

فقلت:

- أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟

فبكى الرجل ثم قال:

- سلي نفسي ألم ما بي - اسم موصول فاعل (سلي) -، ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير.

ثم غشي عليه، مكث مليًا ثم أفاق وقال:

- إني لأحب أن لأهل الصبر غدًا في القيامة مقامًا شريفًا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى.

ثلاثمائة دينار:

قالت مولاة أبي زرعة:

كان أبو زرعة يحب الصدقة، ويجمع لها، ولا يرد سائلاً ولو ببيضة أو تمرة أو بشيء، مما يؤكل فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عندنا في الدار إلا ثلاثة دنانير.

فسأله فأعطاه دينارًا.

ثم جاء سائل آخر فأعطاه دينارًا.

ثم أتاه سائل آخر فأعطاه دينارًا.

فغضبت وقلت له:

- سيدي: لم تترك لنا شيئًا؟

فوضع أبو زرعة رأسه للقائلة - نوم القيلولة -.

فلما أذن المؤذن لصلاة الظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده.

فرققت عليه وكان صائمًا، فاقترضت ما جعلت له عشاء وسرجت

له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأمهده، **فإذا بذهب، فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار.**

فقلت:

- ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما خلف.

فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال:

- هذا خير من غيره.

فقمت على رأسه حتى تعشى ثم قلت:

- رحمك الله خلفت هذه النفقة في سبيل مضيعة، ولم تخبرني فأرفعها؟

قال أبو زرعة:

- وأي نفقة؟ ما خلفت شيئًا.

فرفعت الفراش، فلما رأى الذهب تبسم وقال:

- الحمد لله {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [سورة الأنعام الآية: ١٦٠].

ثم نهض وسار نحو مسجده وهو يقول:

- والله يضاعف لمن يشاء.

هو أعلم بما يصلح عباده:

يقول يحيى بن أبي عمر والشيباني:

كان حيوة بن شريح رجلاً مستجاب الدعوة، من البكائين، وكان رجلاً فقيرًا ضيق الحال جدًا، جلست إليه ذات يوم وهو متخل وحده وهو يدعو ربه.

فقلت له:

- رحمك الله لو دعوت الله عز وجل فوسع عليك في معيشتك.

يقول أبو زرعة:

فالتفت يمينًا وشمالاً، فلم ير أحدًا، فأخذ حصاة من الأرض وقال:

- اللهم اجعلها ذهبًا.

يقول أبو زرعة:

- فإذا هي والله تبرة - قطعة ذهبية - في كفه، ما رأيت أحسن منها.

يقول يحيى بن أبي عمرو الشيباني:

فرمى حيوة بن شريح بها إليّ وقال:

- ما خير في الدنيا إلا الآخرة.

ثم التفت إليّ وقال:

- هو أعلم بما يصلح عباده.

فقلت:

- ما أصنع بهذه.

قال حيوة بن شريح:

- استنفقها.

يقول أبو زرعة:

- فهبته والله أن أردها عليه.

من أقوال أبو زرعة:

قال يحي بن أبي عمرو الشيباني:

* مكتوب في التوارة: كما تدين تدان، وبالكأس الذي تسقي به تشرب وزيادة، لأن البادي لابد أن يزاد.

* مثل بيت المقدس في الكتب مثل كأس من ذهب مملوء عقارب.

* أوصى بنو إسرائيل في التوراة، استوصوا بمن يقدم عليكم من غير أهل بلادكم من الغرباء خيرًا.

* في التوراة مكتوب: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه، لا يهلك العرب بين الله والناس.

قالوا عن أبي زرعة:

* قال أحمد بن سعيد الدارمي:

صلى أبو زرعة في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، كان يوم من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث، فنظروا في محرابه كتابه فقالوا له:

- كيف تقول في الكتابة في المحاريب؟

قال يحيى بن أبي عمرو الشيباني:

- قد كرهه قوم ممن مضى.

قالوا:

- هو ذا في محرابك كتابة، أوما علمت به؟

قال أبو زرعة:

- سبحان الله، رجل يدخل على الله تعالى ويدري ما بين يديه - أمامه - ؟

* قال أبو جعفر التستري:

حضرنا أبو زرعة وكان في السوق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله ﷺ :

- لقنوا موتاكم لا **إله** إلا الله (أخرجه مسلم في الجنائز، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي).

فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه.

فقالوا:

- تعالوا نذكر الحديث.

فقال محمد مسلم:

- أنبأ الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح.

ولم يجاوز.

والباقون سكتوا.

فقال أبو زرعة وهو في السوق:

ثنا بندار قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله ﷺ : من كان آخر كلامه لا **إله** إلا الله وتوفي رحمه الله (أخرجه أبو داود في الجنائز، والإمام أحمد في المسند).

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

سمعت أبي يقول: ما جاوز الجسر - اجتازه وقطعه، ويريد جسرًا معينًا معروفًا لديهم - أحفظ من أبي زرعة.

* قال أبو العباس محمد بن جعفر:

سئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟

فقال أبو زرعة:

- لا.

ثم أردف:

- أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان{ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } [سورة الإخلاص الآية: ١].

* قال محمد بن مسلم:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم فقال رجل من أهل العراق:

- سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى - يعني أبا زرعة - قد حفظ ستمائة ألف.

* قال الفَلاَّس:

أبو زرعة أعلا الحفاظ لأنه جمع الحفظ مع التقوى والورع، وهو يشبه بأحمد بن حنبل.

أبو زرعة وأحاديث خاتم الأنبياء ﷺ :

أسند أبو زرعة عن خلاد بن يحي، وأبي نعيم، وقبيضه، وعمرو بن عبد الله الحضرمي، وعبد الله بن محيريز، وعبد الله بن الديلمي، وأبي سلام الدمشقي وأبي مريم، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره، وكان أحمد إذا ذاكره يترك الشغل ويشتغل بمذاكرته، وروى عن جده وعن أبي هريرة.

ولما حضرت الحفاظ أبو الفضل العراقي الوفاة قيل له:

- من تخلف بعدك في الحديث؟

قال:

- ابن حجر العسقلاني ثم ابني أبي زرعة ثم الهيثمي.

* حدثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو عمير النحاس، ثنا ضمرة عن الشيباني عن عمرو بن عبد الله بن الحضرمي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:

إن الله استقبل بي الشام، وولى ظهري اليمن ثم قال لي:

- يا محمد: إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مددا.

ولا يزال الله يزيد - أو قال يعز الإسلام وأهله وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بي كذا - يعني البحرين لا يخشى إلا جورًا وليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا أبو عمر، ثنا الحسن، ثنا أبو عمير، ثنا ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة قال:

خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال وخروجه وفتنته ومدته وقال:

فينزل عيسى بن مريم فيكون في أمتي إمامًا مقسطًا وحكمًا عدلاً، يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمية كل دابة حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش - الثعبان - فلا يضره، وتلقى الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون في الإبل كأنه كلبها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتملأ من الإسلام، ويسلب الكفار ملكهم، ولا يكون ملك إلا الإسلام، وتكون الأرض كفاثور الفضة - المائدة من الفضة - ينبت نباتها كما كانت تنبت على عهد آدم، يجتمع النفر على القطف - عنقود العنب - فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، عن محمد بن مصفى، ثنا بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي مريم عن أبي هريرة قال:

إن رسول الله ﷺ قام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

- إياي والأقراد .

قلنا:

- يا رسول الله: وما الأقراد؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- يكون أحدكم أميرًا أو عاملاً فتأتي الأرملة واليتيم والمسكين فيقال:

- اقعد حتى ننظر حاجتك.

فيتركون مقردين، لا تقضي لهم حاجة، ولا يؤمرون، فينصرفوا.

ويأتي الرجل الغني الشريف فيقعد إلى جانبه ثم يقول:

- ما حاجتك؟

فيقول:

- حاجتي كذا وكذا.

فيقول:

- اقضوا حاجته وعجلوا (رواه أبو نعيم في الحلية).

وفاة أبي زرعة:

توفى يحيى بن أبي عمرو الشيباني بمدينة الري آخر يوم من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين من الهجرة.

رأيت أبا زرعة في المنام:

قال أبو العباس المرادي:

رأيت أبا زرعة في المنام فقلت:

- يا أبا زرعة: ما فعل الله بك؟

فقال:

- لقيت ربي عز وجل فقال لي: يا أبا زرعة: إنى أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟ تبوأ من الجنة

حيث شئت.

* * *